سبعة يظلهم الله في ضله

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عدل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " متفق عليه .

**مفردات الحديث :**

**سبعة** : ليس المراد بالعدد الحصر ؛ فقد وردت روايات أخرى تبين أن هناك من يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله ، غير هؤلاء المذكوريين في الحديث ، وقد يراد بالعدد اتفاقهم في صفة أو معنى .

**يظلهم الله في ظله** : المراد به : ظل العرش ، كما ي راوية أخرى : " في ظل عرشه " .

**يوم لا ظل إلا ظله** : المراد : في يوم القيامة .

**إمام عدل** : الإمام لغة : هو كل من ائتم به من رئيس وغيره .

واصطلاحا : كل من وكل إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الحكام والقضاة وغيرهم .

والعدل ضد الجور ؛ والعادل من حكم بالحق .

**شاب نشأ في عبادة الله** : خص الشاب بالذكر ، لأنه مظنة غلبة الهوى والشهوة والطيش ، فكانت ملازمته للعبادة مع وجود الصوارف أرفع درجة من ملازمة غيره لها .

**اجتمعا عليه** : أي : على الحب في الله ، وتفرقا عليه كذلك ، والمراد : أن الذي جمع بينهما المحبة في الله ، ولم يقطعها عارض دنيوي ، سواء اجتمعا حقيقة أم لا ، فالرابط بينهما المحبة في الله حتى الموت.

**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال** : دعته أي : طلبته ، ومنصب المراد به : الأصل والشرف والمكانة ، والمراد أنها دعته إلى الفاحشة .

**ورجل تصدق بصدقة** : الصدقة : مايخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة ، سواء كان فرضا كالزكاة المفروضة أو تطوعا ثم غلب استعمال الصدقة على صدقة التطوع .

**فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه** : المراد بذلك المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله مع قربها من يمينه لو تصور أنها تعلم لما علمت مافعلت اليمين ؛ لشدة الخفاء .

**خاليا** : لاأحد عنده ، وإنما خص بالذكر لأنه في هذه الحالة أبعد عن الرياء .

**ففاضت عيناه** : من الدموع ، خشية لله عزوجل .

**فوائد الحديث :**

1. من فضل الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الأعمال ينال صاحبها جزاء خاصا ، لتميزه بهذا العمل ، وهذا فيه حث وترغيب في أمور كثيرة من الخير .

وهنا ذكر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جزاء هؤلاء السبعة الذين تميز كل منهم بميزة خاصة ، وذكر هذا الفضل في أحاديث ، أخرى لغير هؤلاء السبعة ، مثل : الغازي في سبيل الله ، والذي ينظر المعسر ، ومعين الغارم ، وكثير الخطى إلى المساجد ، وغيرهم ، مما جعل أهل العلم يقولون إن العدد المذكور لامفهوم له ، فلا يراد به الحصر .

وقد تتبع الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ تلك الخصال ، وأفردها في كتاب اسمه : ( معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال ) .

1. ذكر الرجال في هذا الحديث لامفهوم له أيضا ، إذ تدخل النساء معهم فيما ذكر إلا في موضعين ، هما :

* الولاية العظمى والقضاء ، فالمرأة لا تلي للمسلمين ولاية عامة ، ولا تكون قاضية ، لكن ينطبق عليها العدل فيما تصح به ولايتها ، كمدير المدرسة ، ونحوها .
* ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد . وباقي الخصال تدخل فيها المرأة .

1. لقد عظم الشرع أمر العدل ، سواء كان في الولاية العظمى ، أو فيما دونها من الولايات ، حتى في أمور الإنسان الأسرية ، كالعدل بين الزوجات ، والعدل بين الأولاد ، وغير ذلك ، قال تعالى : (وقل ءامنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ) الشورى "15" . وقال تعالى : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) النحل "90" . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمان ـ عزوجل ـ ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" . وذكر الإمام العادل في أول الخصال لعظم أمر الإمامة والعدل فيها .
2. مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر ، تقوى فيها العزيمة ، وتكثر الآراء ، وتمتلىء بالحيوية والنشاط ، ولهذا من سلك منهج الله في شبابه ، وغالب هواه ونزواته ، استحق تلك الدرجة العالية المذكورة في الحديث ، ومما يعين الشباب على تحقيق هذه الخصلة :

* طلب العلم والإنشغال به .
* تعويد النفوس على استغلال الوقت بشتى الوسائل ، كبر الوالدين ، وقضاء حوائجهما ، وقراءة سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسيرة السلف الصالح .
* مصادقة الصالحين المستقيمين على منهج الله تعالى .
* محاولة استغلال فرصة الشباب بحفظ كتاب الله تعالى أو شيء منه .

1. المساجد بيوت الله ، ومكان أداء العبادة المفروضة ، وكثير من العبادات المستحبة ، وميدان العلم والتعلم ، والمذاكرة والمناصحة ، وكلها أعمال جليلة ، يستحق الملازم لها ذلك الثواب العظيم ، بالإضافة إلى أن المتعلق بالمسجد بعيد عن رؤية المنكرات ، وقريب من الله سبحانه وتعالى ، فيصفو قلبه وتنجلي همومه وأكداره ، ويعيش في روضة من رياض الجنة ، وبذلك تكفر سيئاته وتكثر حسناته . والتعلق بالمساجد لايعني الجلوس فيها جميع الأوقات ، بل هو يجلس فيها في وقت دون وقت ، لكن إذا خرج منها فإنه يحب الرجوع إليها ، وإذا جلس فيها أنس واطمأن وارتاحت نفسه .
2. العلاقات بين الناس قائمة على أسس متعددة من مصالح مادية ، وقرابة ، وشراكة مالية ، وتجانس خلقي ، ونحوها ، والإسلام يشجع قوة الترابط بين المسلمين على أساس من المحبة في الله والقاسم المشترك فيها طاعة الله ، ونصوص الكتاب والسنة تركز على هذا الجانب ، يقول تعالى : ( إنما المؤمنون إخوة ) الحجرات "10" . ويقول تعالى : " الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين " الزخرف "67" . ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله " .
3. للنفس البشرية رغبات وشهوات ، وجه الإسلام لإشباعها بمنهج ثابت معلوم ، والشيطان حريص على أن يتبع الإنسان شهواته حتى يشاركه في الغي والضلال ، ومما يميل إليه الرجل المرأة فإن اتصفت بصفات الجمال والمنصب والحسب والشرف ، كان إليها أكثر ميلا ، فإذا ما كانت الدعوة موجهت منها ، مع الأمن من الخوف انساقت إليها نفس الرجل أكثر ، وهنا يظهر داعي الإيمان عند المؤمن الصادق ، فيقول : إني أخاف الله ، فإذا قالها بلسانه وصدقها بعمله ، نال جزاه العظيم المذكور في الحديث ، وهكذا يريد الإسلام بأن يكون الرجال والنساء أعفاء شرفاء ، بعيدين عن الفواحش والآثام والمحرمات ، يراقبون الله سرا وعلانية .
4. الصدقة عمل عظيم ، وفضلها جسيم ، وثمارها يانعة ، في الدنيا والآخرة ، لاتحصى النصوص في بيان فضلها وثوابها ، ومضاعفة الأجر لصاحبها ، وقربة من رضا الله والجنة ، وحجبه عن النار ، يقول تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " . البقرة "261" .

والصدقة فاضلة سرا وعلانية ، يقول تعالى : " إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير " . البقرة "271" . والأفضل في إظهار الصدقة أو إخفائها يختلف بإختلاف الأحوال ، فإن كان في إظهارها مصلحة فهو أفضل ، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضا ونفلا .

1. ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال ، ومن أيسرها ، ففيه ثناء على الله ، وتمجيد ، وحمد ، وشكر له بما هو أهله ، واعتراف بالتقصير تجاهه ، وإذا كان هذا الثناء والذكر بعيدا عن أعين الناس ، وأثر في صاحبه خوفا وخشية دمعت منها عيناه ، أثابه الله جل وعلا على هذا الذكر الصادق الخالص بأن يظله في ظله يوم لاظل إلاظله .

10. مما أفاده الحديث : إخلاص العبادة لله جل وعلا فالأمر الجامع بين الأعمال المذكورة في الحديث إخلاصها لله وتجريدها عن المقاصد الأخرى .

11. ومن الأمور الجامعة بين هذه الصفات أيضا : الصبر والتحمل . ولاشك أن طاعة الله وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى . فإذا جاهدهم وانتصر عليهم استحق الجزاء الأوفى .

1. ومما يرشدنا إليه الحديث أيضا : أن يحرص المؤمن على أن يوجد له عملا خفيا لايعلم عنه أحد من الناس ليكون أبعد عن الرياء وليتعود الإخلاص فإن هذا مما يزيد من ممارسته لتلك الأعمال الجليلة .